فكاهات

الرقيق الابيض [1]

في احد الايام من صيف سنة ١٨٨٠ دخلت باخرة الى ميناء مرسيليا واختلطت بغيرها من البواخر التي وصلت في ذلك الحين وبعد ما القت مرساتها صعد الركاب الى ظهرها متوقعين صدور الاذن من ادارة المحاجر لنزولهم الى البر . وكان بين الركاب فتاةٌ في السادسة عشرة من عمرها قد انفردت عن باقي القوم واتكأت الى جانب السفينة وكانت هيئة هذه الفتاة من اجمل ما يتصور للناظر قد اندمجت ذراعاها كانهما مصنوعتان من العاج وأُرسلت احداهما الى جانب جسمٍ معتدل القوام ممتلئ العضلات وارتفعت الاخرى لتسند رأساً هو مجتمع المحاسن والجمال يغطيهِ شعر اسود كالليل الحالك تبرق من تحتهِ عينان كعيون المها قد ترقرق فيهما ماء الحسن وزادهما فعلاً في النفوس اهداب طويلة كانها درعٌ من الزرد تمنع تلك العيون عن ارسال نبلها القاتل الى صدر الناظر . ولم يكن يرى من فم هذه الفتاة سوى خطٍّ احمر هو لون شفتيها وقد زادهُ حمرةً وجودهُ في وجهٍ انقى من بياض الثلج

وكانت عينا الفتاة تنتقلان بسكون من مياه البحر الى بقية المسافرين ثم الى الشاطئ القريب . ثم تعود فتلتفت الى ورآئها باحتراسٍ وتأنٍّ كمن ينظر الى افعى وهو يود الهرب والابتعاد عنها فيتدفق الدم الى وجنتيها بسرعةٍ عظيمة ويصبح ذلك الوجه النقي البياض شديد الاحمرار كانهُ قد جذب اليهِ كل ما في ذلك الجسم من الدم . اما سبب ذلك فهو رجلٌ يناهز الخمسين من العمر اسمر اللون لا من اصل خلقتهِ بل من كثرة الاسفار في البحار والتعرض لحرارة الشمس . اما شعرهُ فلم يكن فيهِ واحدة سوداء ولهُ انفٌ اقنى اشبه بمنقار النسر يفصل بين عينين تكادان لا

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

تريان لصغرهما ينبعث منهما شرار الخشونة والشر . اما لباسهُ فكان بسيطاً وهو واقف الى الجانب الآخر من السفينة بازآء الفتاة فلا يميل نظرهُ عنها حتى اذا نظرت هي الى جهتهِ ادخل يدهُ في جيب صدرتهِ وابرز طرفاً من مسدسٍ يخفيهِ فيها وكان ذلك هو السبب في وجوم الفتاة وصعود الدم الى وجهها كأن نار المسدس قد الهبت وجنتيها

و بعد قليل اذن الربان للمسافرين في النزول واسرعت الزوارق لنقلهم ونظرت الفتاة الى جهة الرجل فأشار اليها مهددًا بما يدل على انهُ يقضي عليها باتباع ما اوصاها بهِ . و بعد ان تحقق ذلك رفع بيدهِ صندوقاً صغيرًا من الجلد واقترب من بعض الزوارق فساوم صاحبهُ على الاجرة وجلس ثم القى نظرة اخرى فرأى الفتاة قد اقتربت منهُ فوقف مبتسماً ورفع قبعتهُ باحترام كانهُ لم تسبق لهُ معرفة بها وقال يظهر لي ايتها السيدة ان ليس في صحبتكِ احد فهل تسمحين لي ان اوصلكِ بسلام الى البر . فاجهدت الفتاة نفسها على الكلام وشكرتهُ ثم جآءت فجاست بجانبهِ . فقال لها لم يكن من موجب لهذا الاحتراس لانهُ لم ينتبه الينا احد فلم تجبهُ الا بتنهدٍ خرج من اعماق صدرها . وفي بضع دقائق بلغ الزورق البر واذا برجلٍ قد تقدم فتبادل مع رفيق الفتاة نظرات سرية ثم قدم لها يدهُ فاخذتها بعد ان القت نظرها الى رفيقها وسارت معهُ الى عربةٍ كانت تنتظرهما فركباها وسارت جيادها تنهب بهما الارض . اما رفيق الفتاة الاول فدفع اجرة الزورق وسار ببطءٍ الى فندق يقرب من الشاطئ و بعد ما استراح هنيهةً نادى صاحب الفندق وقال لهُ أليس عندك رسائل باسمي . فقال وما هو اسمك يا مولاي قال ساندو . فقال بلى قد وردت اليَّ رسالة بهذا الاسم صباح اليوم وها كها . فاخذها ساندو وفتح غلافها بشوق عظيم ثم تبسم حتى بدت نواجذهُ لانها كانت تحتوي على قراطيس مالية حسبها ساندو فكانت قيمتها عشرين الفاً من الفرنكات

اما الرجل الثاني الذي اخذ الفتاة فلم يزل سائرًا بها حتى بلغا محطة السكة الحديدية فابتاع تذكرتين لهُ ولها برسم باريس وما كادا يجلسان في احدى عربات القطار حتى سار بهما يقلهما الى تلك المدينة الغنّآء المعروفة بأم الدنيا . و بعد اجتياز

المحطة الاولى والثانية نظر الرجل الى الفتاة وقال يظهر يا امالیا انكِ غير راضية عن هذا السفر وقد بانت دلائل الكمد على وجهكِ فاعلمي ان مثل هذه الدلائل تقف حاجزًا بين مستقبلكِ و بينكِ وتحرمكِ كثيرًا من السعادة المكتوبة لكِ فانصح لكِ ان تبدلي هذا الكمد الظاهر عليكِ بالسرور والانشراح وتأكدي ان امامك حياة سعادةٍ لا يشوبها كدر . وكأن الفتاة لم تفهم كلمة واحدة مما قيل لها فرفعت منديلها الى مقلتيها تمسح دمعتين ترقرقتا من آماقها وتنهدت عن كبدٍ حرّى . ولما اجتازا مسافةً ثانية قال لها قد اعلمكِ ساندو على ما اظن بما يجب عليكِ صنعهُ وازيدكِ انني ادعى لورنسو فاياكِ ان تدعيني بغير هذا الاسم ويجب ان يعتقد من يرانا ايًّا كان انكِ اختي وانني اخوكِ واكرر على مسمعكِ ان في هذا الجيب مسدسًا تقلّبهُ يدٌ قلما تخطئ مرماها مستعدة لاستعمالهِ عند اول اشارةٍ تبدو منكِ لمخالفة الاوامر التي اعطيت لكِ . وكانت الفتاة امالیا كنعجةٍ تساق الى الذبح لا تفتح فاها وتتلقى كل ما تؤمر بهِ بتمام الطاعة والخضوع ولا تجيب الا بعباراتٍ كانت تجاهد كثيرًا في حبسها وتنهداتٍ تندفع من صدرها بالرغم عنها . ولما بلغا باريس سار لورنسو باماليا الى بيتهِ و بعد ان قدم لها طعامًا وشرابًا عين لها غرفةً وقال خذي تمام راحتكِ ايتها الفتانة وسأطلعكِ غدًا على ما يسركِ ويوضح لكِ شيئًا من السعادة الموضوعة امامكِ . ولما قال هذا تركها وخرج وجلست تلك المسكينة هنيهةً تناجي افكارها وتغلب عليها الحزن فانطرحت على السرير ولم تقوَ مع ضعفها على محاربة سلطان النوم فتغلب عليها وغرقت في سباتهِ العميق . وفي الصباح الثاني ايقظها لورنسو وتبسم لما رأى ان قد عادت اليها حمرة خديها ونضارة وجهها و بعد ان تناولا طعام الصباح قال لها انك ستسرّين كثيرًا عند ما تعلمين انكِ ستصبحين حظيةً لاعظم امرآء فرنسا وأوسعهم غنى وشهرةً وكفالكِ ان هذا الامير قد انفق في سبيل الحصول عليكِ حتى الآن ما يزيد على الثلاثين الفًا من الفرنكات . ولا اشك انكِ لا تخيبين املنا بل تسعين لامتلاك لبهِ والتسلط على عقلهِ فلا يندم على ما انفق بل يراهُ قليلاً في جانب ما آتيناهُ من السعادة و يزيدنا خيرًا من غناهُ الوافر . وهآءنذا ذاهبٌ اليهِ لأُعلمهُ

بقدومكِ ور بما شآء ان يراكِ اليوم فاستعدي لهذه المقابلة . ولما خرج و رأت اماليا نفسها وحدها اغلقت باب غرفتهـا ثم جثت على الارض وشخصت ببصرها الى السمآء وابتهلت الى الله ان ينجيها من ذلك الضيق ويرحم قلب والدها المسكين وكانت عبراتها المنسجمة تزيد حالتها خشوعاً وصلاتها تأثيرًا . وكأن الله قد سمع صلاة تلك الضعيفة فلم يمضِ وقت طويل حتى عاد لورنسو ولما وقع نظرهُ على اماليا قال لها ان التقادير تمانع اتمام سعادتكِ في الحال فلا بد من الانتظار لان الامير مريض لم استطع مقابلتـهُ وقد منعتهُ الاطبآء من الاهتمام بأي امرٍ كان قبل ان يتعافى تماماً . ورأت اماليا في هذا الخبر ما يدل على ان الله قد وجه تدبيرهُ الى استجابة تضرعها فأخفت عن لورنسو سرورًا عظيماً طفح بهِ فؤادها وابرق في عينها

. . . . . .

كان قبل تاريخ ما ذكرناهُ بنحو ثماني سنوات ان سيدةً من شرفآء الفرنسيس تدعى الكنتة ريمي خرجت من بلادها للتنزه والسياحة و بعد ما جابت اشهر اقطار المعمور عادت الى ايطاليا واعجبها هوآء فلورنسا فأقامت فيها مدةً تعرفت في اثنآئها بأسرةٍ مؤلفةٍ من ابٍ وامٍّ وولدين ذكر وانثى وكان عمر الغلام عشر سنوات واسمهُ بيترو وعمر شقيقتهِ ثماني سنوات . ورأت الكنتة ان هذه الاسرة مع ضيق ذات يدها تعيش عيشة صفآءٍ وسرور غير ان الاب كان يأسف دائماً لعدم تمكنهِ من تعليم ولديهِ كما يحبّ وعدم مقدرتهِ على القيام بنفقات المدارس . فلما عزمت الكنتة على مغادرة تلك البلدة عرضت على الوالدين ان يسمحا لها بأخذ بيترو معها الى فرنسا حيث تودعهُ بعض المدارس العالية على نفقتها وتتخذهُ ابنًا لها . فمانع الوالدان اولاً مدفوعين بعامل الحب والحنان ولكنهما اذعنا اخيرًا لطلب الكنتة بعـد ما اقنعتهما انها تحافظ على الولد كأنها امهُ وانهُ لايليق بهما ان يحرما ولدهما الحصول على مستقبلٍ مجيد لمجرد حبهما لهُ وعدم الارتياح الى مفارقتهِ . اما بيترو فكان ميالاً الى السفر فساعد الكنتة في الالحاح على والديهِ واخيرًا قبلا فودعهما وزوداهُ بركاتهما وادعيتهما الحارة . واخذت الكنتة بيترو فبلغت بهِ قصرها في باريس ثم ادخلتـهُ في مدرسة

عالية فكان يصرف فيها نهارهُ ويعود في المسآء الى قصر الكنتة فتحرسهُ بعين الام الحنون وتلاحظهُ بنفسها . وكانت في اول الامر تكتب في كل شهر الى والديهِ عن احوالهِ ودروسهِ ثم زادت الفترات بين كتابة واخرى الى ان انقطعت الاخبار بين الولد واهلهِ تمام الانقطاع ولم يعد يعرف لهُ اقرباً سوى الكنتة وكان ذلك ما تودهُ فانها كانت تبذل جهدها في جعل والديهِ ينسيانهِ لتختصهُ لنفسها ابدًا . وكان بيترو يزداد بسطةً في الجسم والعقل وكانت هيئتهُ الملائكية تزيد جمالاً فيزيد حب الكنتة لهُ وهيامها بهِ فلم تعد تطيق ان يبتعد عنها يوماً واحدًا . ولما اكمل بيترو دروسهُ خيَّرتهُ الكنتة في انتقآء العمل الذي يحب ان يتعاطاهُ فوجدت فيهِ ميلاً شديدًا الى التجارة فخصصت لهُ جانباً من اموالها استأجرت لهُ بهِ محلاً وملأتهُ بأصناف البضائع فسرّ بيترو سرورًا عظيماً وايقن انهُ قد بلغ اوج السعادة والنجاح . اما الكنتة فكانت تنتظر عودتهُ كل مسآء بشوق عظيم فتضمهُ الى صدرها ثم تجلسهُ بجانبها فيقص عليها ما باع وما اشترى وكم بلغت ارباحهُ الى غير ذلك فتقابلهُ بتبسم الحنو والاعجاب وتعلق هو ايضاً بها فكان لا يهمهُ من العالم بأسرهِ سوى الكنتة اولاً وتجارتهِ ثانياً

واشتهر محل بيترو ولا سيما في البضائع المختصة بالسيدات فتهافت المشترون على محلهِ تجذبهم اليهِ رقة المعاملة وجودة الاصناف . وكان ممن زار المحل لورنسو واماليا بعد وصولهما الى باريس وقد اخذها اليهِ لينتقي لها بعض الملابس التي تليق بجمالها الرائع ولا سيما لانهُ كان يتوقع ان يأخذها الى حضرة الامير قريباً . ولما دخل هذان المحل رآهما بيترو فما وقع نظرهُ على اماليا حتى شعر ان سهماً قد اخترق فؤادهُ فشخصت عيناهُ الى تلك الطلعة البهية وشعر بخفقان قلبهِ ولم يدرِ لذلك سبباً . ثم تقدم بنفسهِ وقدم اليهما مطلوبهما وكان يخدمهما وهو مشرد الافكار كأنهُ آلةٌ تعمل بقوة محركة . ولما انصرفا رافقهما بنظرهِ حتى اختفيا بين جمهور السائرين في ذلك الشارع فعاد الى كرسيهِ وغرق في تأملاتهِ كمن تذكر شيئاً قديماً جدًّا لم يهتدِ الى معرفة حقيقتهِ . ثم جعل يتسآءل عن سبب تأثرهِ الشديد لدى نظرهِ تلك الفتاة ولم ينتبه

لنفسهِ الا وقد خيم الظلام وجآء موعد اقفال المحل فخرج ذاهباً الى بيتهِ وهو يتهادى في مشيهِ كالشارب الثمل

ولما بلغ بيترو القصر وجد الكنتة في انتظاره وقد اقلقها تأخرهُ بضع دقائق عن ميعاد مجيئهِ فاستقبلتهُ كجاري عادتها ولكنها رأت في وجههِ انقباضاً وفي عينيهِ شروداً لم تعهدهما فيهِ من قبل فاضطربت افكارها وعلمت انهُ قد طرأ عليهِ طارئ . ثم طوقت خصرهُ بذراعها وقادتهُ الى غرفتها حيث بذلت وسعها في استنطاقهِ الى ان اخبرها بسبب اشتغال بالهِ . فجحظت عيناها ووثبت من جانبهِ كاللبوءة اذا اصابتها رصاصة الصياد واحتبس لسانها هنيهةً عن الكلام ثم قالت ويك يا بيترو الا تخشى بعد كل ما فعلتهُ معك ان تميل الى فتـاةٍ لم تنظرها في حياتك الا مرة واحدة فتنسيك التي ربتك وكانت سبب قيام حياتك . قال كلا لن تحول هذه ولا سواها دون اعتباري لكِ وطاعتي اياكِ يا مولاتي ولكنني لا اعلم ما الذي حرك عواطفي لدى رؤية هذه الفتاة فكانني اتذكر انني رأيتها قبلاً بل قد رأيت في عينيها ما داني على انها تستجير بي من خطرٍ يفاجئها . فتبسمت الكنتة وقالت لا بأس وقد صار من الواجب اذاً ان ارافقك ايضاً الى محل شغلك واسهر عليك فلا ادع قلبك المتناهي في الحنو يذوب شفقةً على كل عابر سبيل لا تدري لهُ اصلاً ولا فصلاً

وفي اليوم الثاني ذهبت الكنتة حقيقةً مع بيترو الى محل شغلهِ فلم تفارقهُ طرفة عين ولبثت من ذلك الحين لا تنفك عن ملازمتهِ نهاراً وليلاً وهي تغار عليهِ من الهوآء اذا هب في وجههِ او من شعاع الشمس اذا اشرق عليهِ

و بعد اسبوع عادت الفتاة اماليا يصحبها لورنسو الى المحل لابتياع حاجات اخرى ولم تكن الكنتة تعرفها انها هي سبب انقلاب بيترو فلم تعبأ بها واظهر بيترو مزيد التجلد والاحتراس ولكنهُ احتال فادخل ورقةً صغيرة كان قد كتبها قبلاً في جيب ثوبٍ ابتاعتهُ اماليا . وكانت هذه قد اصابها ما اصاب بيترو عند اول نظرة ولكن لم يكن لورنسو كالكنتة فلم يهمهُ شيء من امرها . ولحظت اماليا حين ادخل بيترو يدهُ في جيب ثوبها فما صدقت ان بلغت البيت وخلت بنفسها في غرفتها حتى اخرجت تلك

الرقعة فوجدت مكتوباً عليها بخطٍ دقيق جداً ما يأتي . « ايتها السيدة . ان قصدي شريف وغايتي حميدة . فاودّ ان تأذني لي في مقابلتكِ لان عندي شيئاً احب ان اقولهُ لكِ غير اني اؤمل في حكمتكِ ان تبالغي في التحرز لانهُ يوجد شخص يسعى في عدم اتصالي بكِ ويبذل نفسهُ ان لزم دون اجتماعنا »

وكانت اماليا تقرأ وصدرها يرتفع وينخفض ثم جثت ثانيةً وقالت اللهمَّ سهّل ان يكون الفرج قريباً . ثم مسحت الدموع من عينيها واعادت تلاوة الورقة فقالت لا ريب ان الشخص الذي يمنع هذا الفتى من مقابلتي ينبغي ان يكون تلك السيدة التي كانت ترمقني شزرًا وعيناها لا تكادان تفارقانهِ . ثم فكرت في اخفآء الورقة فتارةً تضعها في صدرها وطورًا تخرجها واخيرًا رأت الافضل ان تحرقها وتخفي اثرها فادنتها من شمعةٍ كانت متقدة بجانبها فالتهمتها النار واصبحت رمادًا فذرّتهُ مع الهوآء . وبعد تفكرٍ قليل اخذت ورقة صغيرة وكتبت عليها اسم الشارع الذي هي فيهِ ورقم المنزل ثم كتبت « اكون وحدي كل يوم من الساعة الثامنة صباحاً الى الظهر » واودعت رسالتها في الجيب المعهود ولما عاد لورنسو كلفتهُ ان يرجع الثوب الى المخزن لاجرآء بعض الاصلاحات فيهِ فاخذهُ وانصرف

ولما رأى بيترو لورنسو عائدًا بالثوب خفق قلبهُ وما صدق انهُ صار بيديهِ حتى مدَّ يدهُ واخرج تلك الرسالة سرًّا ثم تنحى الى حيث قرأها بدون مراقبة احد فطارت نفسهُ شعاعاً . وفي اليوم الثاني ارجع الثوب الى صاحبتهِ وقد وعدها ان يزورها في اول يومٍ يجد فيهِ لذلك سبيلاً

وفي ذات يوم طرأ على صحة الكنتة انحراف ازمها البقآء في فراشها فاظهر بيترو شديد الاسف وعرض عليها ان يبقى بجانبها فابت وما صدّق ان خرج من القصر حتى اخذ يقفز كالظبي وتوجه توًّا الى البيت الذي ذكرتهُ لهُ اماليا وكانت تجلس يوميًّا امام نافذتها . فلما رأتهُ قادماً خرجت لاستقبالهِ ثم دخلت بهِ الى غرفتها ولما استقرَّ بهما الجلوس قال بيترو عفوًا يا سيدتي اذا كان فيما فعلتهُ ما يوجب لكِ انزعاجاً لكنني مذ نظرتكِ اول مرة قرأت في عينيكِ شيئاً واحبّ ان اتحققهُ فهل صدق

ظني وهل لكِ من حاجةٍ في اخٍ يحبكِ ويبذل نفسهُ في سبيل رضاكِ . فقالت الفتاة وقد صبغ الحيآء وجهها انني يا مولاي في اشدّ الحاجة الى من تمكن من اطلاعهِ على حالتي والانتفاع بمشورتهِ ومساعدتهِ ولا سيما وانني منذ ثماني سنواتٍ متغربة عن اهلي في اسرٍ امرّ من الموت وانا لا مشير لي ولا معين . وبعد حديثٍ قصير اخذت اماليا في قصّ حديثها فقالت كان ابي فقير الحال ولكنهُ كان يحب اولادهُ حباً شديدًا ورزقهُ الله اياي واخًا اكبر مني واضطرت الاحوال والدي ان يرضى بمفارقة اخي لهُ و بقيت وحدي مع والديَّ فاصبحت سلوتهما وغاية مناهما . ولما عض الفقر والدي وقع في هم عظيم ولكنهُ تعرّف برجلٍ يدعى ساندو كان يتردد الى بيتنا فكان يسلف والدي مبالغ من المال ويأخذ بها اوراقًا منهُ فاصبحنا بأجمعنا غرقى معروف هذا الرجل . ولما اثقل كاهل والدي الدين ولم يكن لهُ ما يفي انقلبت جودة ساندو الى شراسة وحشية وتهدد والدي بان يشكوهُ الى الحكام وما ورآء ذلك الا الموت في السجن . و بعد محاورات عديدة ومباحثاتٍ شتى قبل ساندو ان يتنازل لوالدي عن دينهِ بشرط ان يستأثر بي ويجعلني ابنةً لهُ . ولا تسل عما اثر هذا الامر في نفس والديَّ ولكنهُ لم يكن لهما مندوحةٌ عنهُ فاعطياني لساندو وسافر بي تاركاً اياهما في اشد حالات اليأس والحزن وقد فقدا كل عزآء ولم يبقَ عندهما من يلطف شيئاً من اشجانهما . اما انا فصبرت على ذلك شفقةً على والدي وانا اظن ان غمهُ لبعادي لا بد ان يكون اقل من غمهِ لو بقيت وحكم عليهِ بالسجن . ولكنني علمت بعد ذلك ان ساندو نخاس يتاجر بالفتيات وانهُ انما اسلف والدي تلك المبالغ بغية ان يدرك غايتهُ وانهُ يعتقد بعد حصولهِ عليَّ انهُ لا بد ان يصادف لي سوقًا رائجة فيبيعني بما يعوض عليهِ اضعاف ما اعطاهُ لوالدي . ثم اوصلني ساندو الى بلادٍ لا اعرفها وكان يعتني بتربيتي وتهذيبي مدة هذه السبع السنوات وهو يتهددني يوميًّا اذا مرقت من طاعتهِ ويعدني بالخير ان اذعنت لمشيئتهِ . وفي ذات يوم دخل عليَّ مسرورًا وقال ان عميلهُ في باريس كتب اليهِ يطلبني لاميرٍ من اشرف أسر فرنسا وانهُ نقدهُ على حساب مشتراي مبلغًا وافرًا من المال . فوقعت في حيص بيص

ولكنني لم اقنط من رحمة الله وسافر بي ساندو الى مرسيليا حيث استقبلني عمبلهُ لورنسو الذي رأيتهُ معي واحضرني الى هنا حيث لا ازال مسجونةً يمنعني التهديد والوعيد عن ان ابوح لمخلوق بحالتي او ان اسعى في النجاة . وقد ساعدني القدر بان مرض الامير الذي احضرني لاجلهِ وهذا ما عاق لورنسو عن تسليمي اليهِ حتى الآن

وكان بيترو يشرب حديث اماليا شرباً وهو في تأثر عظيم ثم قال لها ومن هم اهلكِ وقد ذكرتِ ان لكِ اخاً افلا تعرفين مقرهُ . قالت لا وانما اعرف ان سيدةً غنية اخذتهُ لتربيهُ في فرنسا وتتبناهُ اما اسمهُ فبترو واسم والدي ارمان لونلّو وهو يسكن مع والدتي في فلورنسا . وكانت هذه الكلمات كمجارٍ كهربائية أُطلقت على بيترو فتشنجت اعصابهُ وتقاصت عضلاتهُ وصار كمن هو في حلمٍ ثم تمالك نفسهُ وهجم على اماليا فأخذها بين ذراعيهِ يقبلها ويصيح قائلاً لم يخطئ ظني

وغرَّف بيترو شقيقتهُ بنفسهِ فكادت تجن من شدة الفرح وما تمهل ان استوقف عربةً ركبها واماليا وتوجها الى قصر الكنتة . فلما رأتهما هذه يدًا بيدٍ طار رشدها وصاحت ببيترو آه يا لئيم قد اغتنمت فرصة غيابي لتزور هذه اللعينة وما كفاك ذلك حتى احضرتها لتدنس بوجودها قصري . فتبسم بيترو واقترب من الكنتة يسكن روعها ثم اطلعها على الحقيقة فلم يسرّها هذا الخبر كثيرًا ولكنها سكنت جأشها لعلمها ان بيترو لا يزال خالياً ولن يفارقها

واستقدم بيترو والديهِ من فلورنسا فكان اجتماعهما بولديهما دواءً شافياً ردّ حياتهما من حافة القبر وارجع اليهما النضارة والشباب وسكنوا جميعاً في قسم من قصر الكنتة ولبثت الكنتة متعلقة ببيترو الى مماتها واوصت لهُ بجميع مقتنياتها

اما ساندو ولورنسو فكان بيترو قد اعلم الحكومة بأمرهما فاختفيا وهما يندبان اخفاق مساعيهما ولم يوقف لهما بعد ذلك على خبر